المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

حجاجية التشبيه في السور المكية

(مقاربة بلاغية)

The Argumentation of Simile in the Meccan Surahs
(A Rhetorical Approach)

بقلم الباحث

سلطان محمد عويض الجهني

باحث دكتوراة في قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات والعلوم الإنسانية- جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

حجاجية التشبيه في السور المكية (مقاربة بلاغية)

سلطان محمد عويض الجهني

باحث دكتوراة في قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية اللغات والعلوم الإنسانية- جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: soltan4140@gmail.com

الملخص

يُعنى هذا البحث بدراسة التشبيه في السور المكيَّة، والكشف عن حِجَاجيَّته بوصفه وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير والاستمالة، ولهذا، فهو لا يقف عند عقد المشابهة بين شيئَيْن فحسب، وإنَّما يتجاوزها إلى ما هو أعمق من ذلك.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف وتحليل التشبيه في السور المكيَّة، والوقوف على حِجَاجيَّته من خلال محورَيْن: أولهما: مصادر القوَّة الحِجَاجيَّة فيه، وثانيهما: المفعول الحِجَاجي المترتِّب على ذلك، والاستناد في الوقت ذاته إلى مقولات بلاغة الحِجَاج.

ويتكوَّن البحث من مقدِّمة، ومبحثَيْن، وخاتمة، وفهارس. اشتملت المقدمة على مشكلة البحث، وتساؤلاته، وأهميَّته، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطَّته، ويناقش المبحث الأول التعريف بالتشبيه والحِجَاج، ويتناول المبحث الثاني حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة، وتليه الخاتمة مشتملة على أهم النتائج، متبوعة بفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأبرز ما خلص إليه البحث أنَّ الخطاب القرآني المكِّي خطاب حِجَاجي إقناعي بامتياز، ومن أهم آلياته البيانيَّة التشبيه؛ لأنَّه يعالج قضايا كبرى مفصليَّة، مثل: وحدانيَّة الله، والبعث بعد الموت.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، حجاجية، السور المكية، مقاربة بلاغية.

The Argumentation of Simile in the Meccan Surahs (A Rhetorical Approach)

Sultan Muhammad Awaid Aljohani

Department of Arabic Language and Literature, College of Languages and Humanities, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia

Email: soltan4140@gmail.com

Abstract

This research concerns the study of similes in the Meccan Surahs, and discovering their argumentative/rhetorical nature as a means of persuasion, influence and engaging readers. Therefore, it does not merely establish similarity between two things, but goes beyond that to deeper matters.

The research relies on the descriptive and analytical method, which describes and analyzes similes in the Meccan Surahs, and examines their argumentative/rhetorical nature through two axes: the first is the sources of argumentative strength in them, and the second is the argumentative impact arising from that, while also relying on concepts of rhetorical argumentation.

The research consists of an introduction, two chapters and a conclusion along with indexes. The introduction discusses the research problem, questions, importance, reasons for choosing the topic, objectives, previous studies, methodology and plan. The first chapter discusses definition of simile and argumentation, and the second chapter discusses The Argumentation of Simile in the Meccan Surahs. This is followed by the conclusion containing the most important findings, followed by references and indexes.

The most prominent conclusion reached by the research is that the Meccan Qur'anic discourse is a distinctly argumentative and persuasive discourse, and one of its most important rhetorical devices is similes, because it addresses major foundational issues such as the oneness of God and resurrection after death.

Keywords: Simile, argumentation, Meccan Surahs, rhetorical approach.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فيعد التشبيه عاملًا مهمًّا في العمليَّة الحِجَاجيَّة، إذ يضطلع بدور كبير في إيصال المعنى بوصفه وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير والاستمالة، التي تؤدِّي إلى الإذعان والتسليم بتلك الأفكار والقضايا والمسائل المطروحة، ولذا، فإنَّه لا يقف عند عقد المشابهة بين شيئَيْن، بل يتجاوزها إلى ما هو أعمق من ذلك.

ومن هذا المنطلق تشكَّلت فكرة البحث "حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة" بالتركيز على حِجَاجيَّته من خلال محورَيْن: أوَّلهما: مصادر القوَّة الحِجَاجيَّة فيه، وثانيهما: المفعول الحجاجي المترتِّب على ذلك، وهو جانب لم يحظَ بالدراسة.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتمثَّل مشكلة البحث في الكشف عن حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة. ومِنْ أهم التساؤلات التي يثيرها هذا البحث ما يأتي:

- ما أثر التشبيه في الحِجَاج؟
- ما نتيجة حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة؟

أمَّا الإضافة العلميَّة من هذا البحث فتتمثَّل في الوقوف على حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة، وما ينتج عنها من تأثير وإقناع وتسليم.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث في دراسة أثر التشبيه في السور المكيَّة، بحيث يُركَّز النظر على حجاجيَّته التي تساعد على الإقناع والتأثير في المتلقِّي. وأمَّا أسباب الاختيار فتظهر في الآتي:

- الإسهام في إغناء الدراسات البلاغيَّة التطبيقيَّة.
- خدمة النص القرآني بدراسة متعمِّقة، تأتي من معايشة أثر التشبيه في

السور المكيَّة، والبحث في حجاجيَّته.

- لم تُدرَس حِجَاجيَّة التشبيه -على حدِّ علم الباحث- دراسة علميَّة مستقلة في السور المكيَّة.

- المقدرة الحِجَاجيَّة التي يعتمدها القرآن الكريم ببراعة وإتقان في سبيل تحقيق التأثير والإقناع، وبخاصة في السور المكيَّة.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق أهداف عديدة، وهي كما يلي:

- معرفة أثر التشبيه في الحِجَاج.

- الكشف عن نتيجة حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة.

الدراسات السابقة:

حظي التشبيه في القرآن الكريم، ولا سيما في السور المكيَّة، بالعديد من الدراسات، أهمها:

أسرار التنوُّع في تشبيهات القرآن الكريم، مَلك حسن عبدالرزاق بخش، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية "فرع الأدب"، ١٤٠٩هـ-١٤١٠هـ. وقفت هذه الرسالة على الآيات المتشابهة المتضمنة للتشبيهات، وكشفت عمَّا بينها من فروق، ودقائق، وأسرار تنوُّعها، وهذا الميدان مختلف عن الميدان الحِجَاجي.

جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية على السور المكيَّة، بوزنون عبدالرحمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، ٢٠٠٩م- ٢٠١٠م. تناول الباحث فيها الجماليات واللطائف والخصائص الفنية الواردة في السور المكيَّة، وهي بعيدة عن الجانب الحِجَاجي الذي يسعى إليه البحث.

جمالية التشبيه في السور المكيَّة، خولة صالح صيهود، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في بيروت- لبنان، ع٩،

سبتمبر ٢٠١٩م. ركَّزت الباحثة في بحثها على بيان جمالية ظاهرة التشـبيه فـي نماذج مختارة من السور المكيَّة، وهذا الجانب الجمالي يختلف عن الجانب الحِجَاجي الذي يريد البحث دراسته.

أساليب التصوير في السور المكيَّة، طراشي حليمة، رسالة دكتـوراه (غيـر منشورة)، جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٩م- ٢٠٢٠م. تركَّز النظر فيها على تبيان جمال نظـم الأسلوب القرآني من خلال الصور البيانيَّة، والتشبيه جزء منها، وهذه الرسالة بعيدة في تناولها الجمالي عن التناول الحِجَاجي.

هذه أهم الدراسات التي تناولت التشبيه أو شيئًا منه فـي القـرآن الكـريم، ولاسيما في السور المكيَّة، ويتضح أنَّه لا توجد دراسـة علميَّـة مسـتقلَّة تتنـاول "حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة".

منهج البحث:

يُعنى هذا البحث بدراسة التشبيه في السور المكيَّة والكشف عـن حجاجيَّتـه، وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بالوصف والتحليـل مـن خلال محورَيْن: أوَّلهما: مصادر القوَّة الحِجَاجيَّة فيه، وثانيهما: المفعول الحِجَـاجي المترتِّب على ذلك، والاستناد في الوقت ذاته إلى مقولات بلاغة الحِجَاج، ممَّا يساعد على الوصول إلى النتائج المرجوَّة من هذا البحث.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدِّمة ومبحثَيْن وخاتمة وفهـارس، وتفصيلها على النحو الآتي:

المقدِّمة: وتشتمل على مشكلة البحث، وتساؤلاته، وأهميَّته، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطَّته.

- المبحث الأول: التعريف بالتشبيه والحِجَاج:

أولًا: تعريف التشبيه.

ثانيًا: تعريف الحِجَاج.

- المبحث الثاني: حِجَاجيَّة التشبيه في السور المكيَّة.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة.
- الفهارس: وتتكوَّن من: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المبحث الأول

التعريف بالتشبيه والحجاج

يرتكز هذا المبحث على تعريف التشبيه والحِجَاج، وينطلق بداية من خلال المعاجم اللُّغويَّة وصولًا إلى المعنى الاصطلاحي عند العلماء والباحثين، وتفصيلهما على النحو الآتي:

أولًا: تعريف التشبيه

يعدُّ التشبيه من أهم الآليات الحِجَاجيَّة التي تشغل حيِّزًا كبيرًا عند النقَّاد والبلاغيين قديمًا وحديثًا؛ وذلك لأنَّه يساعد على إثارة المتلقِّي وإشغال تفكيره، بما يحتوي عليه من أطروحة تصويريَّة تحمله على القبول والاقتناع بها.

وجاء في اللُّغة أنَّ «الشين والباء والهاء أصل واحد يدلُّ على تشابُه الشيء وتشاكُله لونًا ووَصْفًا»[1]. ويعني «الشِّبْه والشَّبَه والشَّبِيه: المِثْل، والجمع أَشْباه. وأشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله... وأَشْبَهْتُ فلانًا وشابَهْتُه واشْتَبَه عَلَيَّ وتَشابَه الشيئان واشْتَبَها: أَشْبَه كلٌّ واحدٍ منهما صاحِبَه... والتشبيه: التمثيل»[2]. ويدور التشبيه في اللُّغة حول معاني المماثلة والمشاكلة ونحوهما.

أمَّا في الاصطلاح فقد تعدَّدت تعريفات التشبيه، ومِن أهمِّها ما أشار إليه "الرُّمَّاني" (ت٣٨٦هـ) بقوله: «التشبيه هو العَقد على أنَّ أحد الشيئَيْن يسد مسد الآخر في حس أو عقل»[3]. فـ"الرُّمَّاني" يؤكِّد وجود قرينة تربط بين شيئَيْن، وتجعل أحدهما ينوب عن الآخر، ويتشكَّل في اللفظ والاعتقاد.

---

(١) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، مادَّة: (شبه)، ٢٤٣/٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م، مادَّة: (شبه)، ١٧/٨.

(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّمَّاني والخطَّابي وعبدالقاهر الجرجاني في الدراسات القرآنيَّة والنقد الأدبي، حققَّها وعلَّق عليها: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص٨٠.

وتناول "ابن رشيق" (ت٤٥٦هـ) التشبيه على أنَّه «صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنَّه لو ناسبه مناسبة كليَّة لكان إيَّاه»[١]. ويقصد هنا أنَّ الشيء قد يشترك مع آخر بصفة أو صفتَيْن أو صفات كثيرة، ولكنَّها لا تصل إلى حد التناسب الكلِّي بينهما؛ لأنَّه لو كان الأمر كذلك، لم يكن هناك ما يستدعي إقامة هذه العلاقات.

وذكر "السكاكي" (ت٦٢٦هـ) أنَّ التشبيه «مستدع طرفَيْن، مشبهًا ومشبهًا به، واشتراكًا بينهما من وجه، وافتراقًا من آخر، مثل: أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفا في الصفة، أو بالعكس»[٢]. فـ"السكاكي" يضع أمرَيْن رئيسَيْن لا يتحقَّق التشبيه إلا بهما: أولهما: وجود طرفَيْ التشبيه: المشبَّه، والمشبَّه به. وثانيهما: أن يشتركا في وجه، ويفترقا في آخر.

وبهذا يتبيَّن أنَّ التشبيه لم يبتعد كثيرًا في الاصطلاح عن المعنى اللُّغوي، فقد اتفق معظم النقَّاد والبلاغيين ضمنيًّا على أنَّه «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى»[٣]، حتى وإن اختلفوا في صياغة تعريفه ظاهرًا.

وللتشبيه مكانة كبيرة في الكلام، إذ يعطي اللفظ حلاوة، ويضفي عليه طلاوة، ويظهر الخفي، ويقرِّب البعيد، ويزيد «المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا؛ ولهذا ما أطبق جميع المتكلِّمين من العرب والعَجَم عليه، ولم يستَغْنِ أحد منهم عنه»[٤].

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ١/٢٥٢.

(٢) مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص٣٣٢.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص٢٠٩.

(٤) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م، ص٢٤٣.

وقيمة التشبيه الحِجَاجيَّة لا تكون فيما يجمع من صفات ثلاثة: «المبالغة، والبيان، والإيجاز»[١] فحسب، وإنَّما تتجاوز ذلك إلى تحقيق غاية إقناعيَّة وتأثيريَّة إضافة إلى الإمتاع، وتسهم في تحريك القلوب والأذهان، وإحداث التغيير في المواقف العاطفيَّة والفكريَّة.

وتميَّزت تشبيهات القرآن الكريم عن غيرها بأنَّها جزء أساس منه، ولم تقف «عند مجرَّد تسجيل وجوه الشبه الماديَّة بين الأشياء؛ بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسيَّة، وتعمقتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجدِّدة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، وتجسَّمت الحالة النفسيَّة في لوحة أو مشهد. وليس هذا فحسب؛ بل يُبرِز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف، وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها»[٢]. وهذا يقود إلى التأثير في المتلقِّين، ويزيد من قبولهم للأطروحات والقضايا التي تعرضها هذه التشبيهات.

ونخلص إلى أنَّ التشبيه هو اشتراك أمرَيْن في صفة من الصفات أو أكثر، وبينهما قاسم مشترك ينتظمهما، وغرض مقصود يجمعهما بإحدى أدوات التشبيه سواء كانت ملفوظة أو مقدَّرة تفهم من السياق.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدَّمه وعلَّق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط٢، ١٩٧٣م، ٢/١٢٢.

(٢) الصورة الأدبيَّة في القرآن الكريم، صلاح الدين عبدالتواب، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر- لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٥م، ص٤٥.

ثانياً: تعريف الحجاج

لم يكن الحِجَاج حديث النشأة، بل إنَّ جذوره ممتدَّة وموغلة في القدم خاصَّة في الدراسات الغربيَّة والعربيَّة. ولم يحظَ قديمًا وحديثًا بتعريف محدَّد الدلالة، وإنَّما تجاذبته مجموعة من الحقول المعرفيَّة، فأصبح مرتبطًا بالفلسفة، والمنطق، والبلاغة، والقضاء، والسياسة، وغيرها من العلوم، وهذا ما جعله متباينًا من حقل إلى آخر.

وفي اللُّغة «يقال: حاججتُه أُحاجُّه حِجاجًا ومُحاجَّة حتى حَجَجتُه أي غلبتُه بالحُجَج التي أَدليتُ بها... والحُجَّة: البرهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفع به الخصم... وهو رجل مِحْجاج أي جَدِل. والتَّحاج: التَّخاصم؛ وجمع الحُجَّة: حُجَج وحِجاج. وحاجَّه مُحاجَّة وحِجاجًا: نازعه الحُجَّة. وحَجَّه يَحجُّه حَجًّا: غلبه على حُجَّته»(١). وتعني أيضًا «الحُجَّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة... سميت حُجَّة؛ لأنَّها تُحَجُّ؛ أي: تُقصد؛ لأنَّ القصد لها وإليها. وكذلك: مَحَجَّة الطريق هي المقصِد والمسلك»(٢). ويمكن وضع مادَّة: (حجج) في أصول أربعة: الأول: القصد، وكل قَصْد حج، ثم اختُصَّ بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنُّسك. والثاني: الحِجَّة وهي السنَة. والثالث: الحِجَاج، وهو العظْم المستدير حول العَين، يقال للعظيم الحِجَاج أَحَج، وجمع الحِجَاج أحِجَّة. والرابع: الحَجْحَجة النُّكوص، يقال: حَمَلوا علينا ثمَّ حَجْحَجُوا، والمحَجْحِج: العاجز(٣). ويتراوح الحِجَاج في اللُّغة حول دلالات متقاربة، منها: الغلبة، والجدال، والقصد، والبرهان، والخصام، والنزاع.

أمَّا الحِجَاج في الدراسات الغربيَّة القديمة فقد ظهر عند الفلاسفة اليونان، حيث أولوه المزيد من الاهتمام والعناية في ضوء اهتمامهم بفنون الكلام وقواعده.

---

(١) لسان العرب، مادَّة: (حجج)، ٣٨/٤.

(٢) تهذيب اللُّغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد عبدالرحمن مخيمر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، مادَّة: (حج)، ١٩/٣.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللُّغة، مادَّة: (حج)، ٢٩/٢-٣١.

وأهم مَن اضطلع بهذا الدور "أرسطو"، إذ يقول: «إنَّ الريطورية (يعني صناعة الخطابة) ترجع على الديالقطيقية (يعني صناعة الجدل)، وكلتاهما توجد من أجل شيء واحد (يعني الإقناع)»(١). وهذا يؤكِّد أنَّ الخطابة عنده وسيلة لإنتاج الحِجَاج مثلها مثل الجدل، وعلى الرغم من الاختلاف الذي يحصل بينهما في بنية الحِجَاج، فإنَّ التوافق يكون بينهما في مجالَيْ: الاستدلال، والإقناع.

إنَّ الحِجَاج عنده حِجَاجان: جدلي، وخطابي. فالحِجَاج الجدلي يعدُّ ذا «مجال فكري خالص، فهو عادة ما يكون بين شخصَيْن يحاول كلٌّ منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معيَّنة. وأمَّا الحِجَاج الخطابي فمجاله توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنع الاعتقاد، فهو حِجَاج موجَّه للجماهير»(٢). فالأول يقوم على مرتكزات عقليَّة خالصة، في حين الثاني يقوم على مرتكزات عاطفيَّة، وكلاهما يسعيان إلى تحقيق غاية واحدة هي (الإقناع والتأثير).

وهذا ما جعل الحِجَاج عنده يرتبط بثلاثة مستويات: (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس)؛ فالإيتوس يعني صفات الخطيب، وصورته المتشكِّلة في الأذهان. ويقصد بالباتوس مجموعة انفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المتلقِّين. ويمثِّل اللوغوس الحِجَاج المنطقي، الذي يعبِّر عن الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابيَّة على الاستدلال والبناء الحِجَاجي(٣). ولا يمكن أن يتحقَّق في هذه المستويات الحِجَاج والإقناع إلَّا من خلال تضافرها وتكاتفها في آن واحد.

---

(١) الخطابة، أرسطوطاليس، حقَّقه وعلَّق عليه: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣.

(٢) الحِجَاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ص١٨.

(٣) ينظر: النظريَّة الحِجَاجيَّة من خلال الدراسات البلاغيَّة والمنطقيَّة واللسانيَّة، محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص١٨-١٩.

ويظهر أنَّ الحِجَاج عند "أرسطو" بناء بلاغي صفته الأســاس (الاحتمــال)، وينهض على آليات متعدِّدة خطابيَّة كانت أو جدليَّة، ويركِّز دائمًـا علــى تحقيــق الوظيفة الإقناعيَّة، وتشترك في توجيهه حِجَاجيًّا عناصر مقاميَّة من متكلِّم ومســتمع وظروف.

أمَّا الحِجَاج عند العرب قديمًا فقد برز في خضــم اهتمــامهم بالممارســات التخاطبيَّة، إذ جعلوا للكلام مقامات تراعي مقتضيات الأحوال المختلفة، وتسعى إلى نتيجة مفادها: الإفهام، والإقناع. وأبرز مَن تناوله "الجاحظ" (ت٢٥٥هـ) في أثناء حديثه عن البيان، الذي هو «اسم جامع لكل شيء كشَفَ لك قِناع المعنــى، وهتَــك الحجاب دون الضمير، حتى يُفْضي السامع إلى حقيقته، ويَهجُم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التي إليهــا يجري القائل والسامع، إنَّما هو الفَهْم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضــحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»(١). فالحِجَاج هنا يتحقَّق من خــلال البيان الذي يستهدف غاية رئيسة هي (إفهام السامع وإقناعه)، وتستدعي هذه الغاية ضرورة مراعاة أحوال المخاطبين، والمقامات التواصليَّة، والظروف المحيطة بها.

وجاء الحِجَاج عند "ابن وهب الكاتب" (ت٣٣٥هـ) ضمن الجدل والمجادلة، إذ هما «قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتنصل في الاعتذارات، ويدخل في الشعر وفي النثر»(٢). فالحِجَاج هنا جزء من الجدل، ويسهم في حل النزاعــات والاختلافات بين المتجادلين، ويكون ذلك بإقامة الحجة في موضعها المناسب، الذي ينتج عنه الاستمالة والإقناع.

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمــد هــارون، مكتبــة الخــانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٧٦.

(٢) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م، ص٢٢٢.

وتحدَّث "أبو هلال العسكري" (ت٣٩٥هـ) عن الحِجَاج تحت عنوان (في الاستشهاد والاحتجاج)، ووصفَه بأنَّه «كثير في كلام القدماء والمحدثين... ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكِّده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته»(١). فالحِجَاج هنا يدور حول الدليل أو البرهان، ويتكوَّن من معنيَيْن: الأول: هو الدعوى التي يريد الاحتجاج لها. والثاني: هو الحجة التي يستشهد بها على صحة المعنى الأول. ويقصد من ورائهما التأثير في المتلقِّي.

وعدَّ "أبو الوليد الباجي" (ت ٤٧٤هـ) هذا العلم «من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا؛ لأنَّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال»(٢). فجعل الحِجَاج هنا علمًا قائمًا بذاته، يهتم بكل ما يؤدِّي إلى معرفة الحق وتمييزه.

ويتضح أنَّ الحِجَاج عند العرب القدماء كان حاضرًا في مؤلَّفاتهم، وشكَّل بنية أساسيَّة حتى وإن اختلفت تسمياته، فمنهم مَن أطلق عليه البيان في سبيل الإفهام والإقناع، ومنهم مَن وظَّفَه ضمن الجدل والمجادلة، ومنهم مَن جاء به؛ للاستدلال والاستشهاد، ومنهم مَن جعلَه علمًا قائمًا بذاته بين العلوم.

أمَّا الحِجَاج في الدراسات الغربيَّة الحديثة فقد تبلورت معالمه عام ١٩٥٨م على يدَيْ "شاييم بيرلمان" و"لوسي أولبريخت تيتيكا" عند صدور كتابهما (مصنف في الحِجَاج: البلاغة الجديدة)، إذ عرَّفاه بأنَّه «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدِّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»(٣). ويقوم الحِجَاج عندهما على منتجي الخطاب من خلال

---

(١) كتاب الصناعتين، ص٤١٦.

(٢) كتاب المنهاج في ترتيب الحِجَاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م، ص٨.

(٣) في نظرية الحِجَاج: دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م، ص١٣.

توظيف التقنيات الحِجَاجيَّة المختلفة، التي تسهم في تحريك الأذهان؛ لكـي تكـون متهيَّأة لقبول الأطروحات المعروضة أو تزيد في درجة قبولهـا، ويتحقَّـق بهـذا الاقتناع والتأثير والإذعان. وقد حصرا هذه التقنيات في تقنيتَيْن: أولهـا: الوصـل: ويعمل على التقريب بين العناصر المتباينة للوصول إلى نتيجة واحـدة. وثانيهـا: الفصل: ويعمل على الفصل بين العناصر المتحدة فيما بينها لغايـات حِجَاجيَّـة[1]. فالحِجَاج عند "بيرلمان" و"تيتيكا" يتكوَّن من الكلام (تقنيات الخطاب)، ويتجـه إلـى العقل (ميدان الحِجَاج)، ويسعى إلى تحقيق غاية واحدة (الاقتناع والإذعان).

وأشار "ديكرو" و"أنسكومبر" في كتابهما (الحِجَاج في اللُّغة) إلى أنَّ الحِجَـاج يقوم على «دراسة الجوانب الحِجَاجيَّة في اللُّغة، ووصفها انطلاقًـا مـن فرضيَّـة محوريَّة ألا وهي "أنَّنا نتكلَّم عامَّة بقصد التأثير". أي: تحمل اللُّغة في طيَّاتها بصفة ذاتيَّة وجوهريَّة وظيفة حِجَاجيَّة تتجلَّى في بنية الأقوال ذاتها، صـوتيًّا، وصـرفيًّا، وتركيبيًّا، ودلاليًّا»[2]. فالحِجَاج عندهما محصور في اللُّغة فحسب، ولا ينظر إلـى ماهو واقع خارجها. وتضطلع اللُّغة بوظيفة أساسيَّة تتمثَّـل فـي إقامـة الحجـج بمستويات لغويَّة مختلفة، تسهم في عمليَّة إقناع المتلقِّي وتغيير مواقفـه وأفكـاره، ويكون ذلك بتقديم المتكلِّم قولًا يفضي إلى التسليم بقول آخر، عن طريـق إنجـاز عملَيْن: عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء أكانت النتيجة مصرَّحًا بها أم ضمنيَّة مفهومة[3]. وبهذا، فإنَّ الحِجَاج عند "ديكـرو" و"أنسكومبر" لا يتشكَّل إلا في اللُّغة نفسها بعيدًا عمَّا يقع خارجها، ويقصد التأثير في المتلقِّي بما يجعله يغيِّر قناعاته وتوجُّهاته.

---

(١) ينظر: في نظرية الحِجَاج: دراسات وتطبيقات، ص٨١-٨٢.

(٢) من الحِجَاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيـا الشـرق، المغـرب، ٢٠١٤م، ص٣٥.

(٣) ينظر: الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، عبـدالله صـولة، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٣٣.

وتناول "ماير" الحِجَاج انطلاقًا من نظرية المساءلة، إذ عرَّفه بأنَّه «دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه. والوجه في ذلك، حسب رأيه، أن يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة حِجَاجيَّة تؤدي إلى ظهور الضمني في ضوء ما يمليه المقام، وتلوِّح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة»[١]. ويقوم الحِجَاج عنده على قسمَيْن رئيسَيْن: صريح، وضمني. فالحِجَاج الصريح يتمثَّل فيما يورده المتكلِّم من جواب مصرَّح به وهو (الحجة)، والحِجَاج الضمني يتمثَّل فيما يكتشفه السامع من سؤال أو أسئلة مضمرة في السياق، ولذا، فإنَّ الضمني يرتبط لزومًا بالصريح عن طريق معطيات مقاميَّة. ويظهر أنَّ الحِجَاج عند "ماير" ينهض على ثنائيَّة متلازمة (سؤال/ جواب)، فظاهر الكلام (الجواب) وضمنيه (السؤال)، وما بينهما ينشأ الحِجَاج.

ويتبيَّن أنَّ الحِجَاج في الدراسات الغربيَّة الحديثة تبلور في عدَّة نظريَّات، أهمها: نظريَّة "بيرلمان" و"تيتيكا" التي تقوم على الفصل والوصل الحِجَاجيَّيْن، ونظريَّة "ديكرو" و"أنسكومبر" التي تجعل الحِجَاج قائمًا في جوهر اللُّغة نفسها دون النظر إلى خارجها، ونظريَّة "ماير" التي تقوم على ثنائيَّة حِجَاجيَّة (سؤال/ جواب). وتسعى هذه النظريَّات إلى تحقيق (التأثير والإقناع).

أمَّا الحِجَاج عند العرب حديثًا فقد حظي باهتمام نخبة من الباحثين، ومن أبرزهم "طه عبدالرحمن" الذي عرَّف الحِجَاج بأنَّه «كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[٢]. ويتأسَّس الحِجَاج عنده على قصدَيْن رئيسَيْن: قصد الادعاء من جهة المخاطِب، وقصد الاعتراض من جهة المخاطَب. وهذا ما جعله «فعاليَّة تداوليَّة جدليَّة، فهو تداولي؛ لأنَّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي...، وهو أيضًا جدلي؛ لأنَّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام

(١) الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، ص٣٧.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٢٦.

صور استدلاليَّة»[1]. فالحِجَاج عند "طه عبدالرحمن" يأخذ طابعًا فلسفيًّا تداوليًّا جدليًّا؛ لأنَّه يراعي السياقات المقاميَّة والاجتماعيَّة المختلفة، ويراعي أيضًا المعارف والخبرات المشتركة بين المتخاطبين؛ وذلك لتحقيق الانسجام الحواري الذي يقود إلى التأثير والإفهام والإقناع.

وجاء الحِجَاج عند "محمد العمري" متجلِّيًا في العمليَّة الإقناعيَّة، انطلاقًا «من أنَّ البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معًا، إيهامًا أو تصديقًا»[2]. فالحِجَاج عنده يتشكَّل في الخطاب الإقناعي الذي يركِّز على عدَّة عناصر، وهي: المقام، وصور الحِجَاج (القياس- المثل- الشاهد)، والأسلوب، وترتيب أجزاء القول[3].

وذكر "أبو بكر العزاوي" أنَّ الحِجَاج هو «تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيَّنة، وهو يتمثَّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيَّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثَّل الحِجَاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللُّغويَّة، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها»[4]. ويكمن الحِجَاج عنده في اللُّغة، ويأتي على قسمَيْن متتابعَيْن، أولهما: يكون في تقديم الحجج اللُّغويَّة. وثانيهما: يكون في نتائج تلك الحجج. ويروم اكتشاف منطق اللُّغة المتمثِّل في القواعد الداخليَّة للخطاب، التي تتحكَّم في تسلسل الأقوال وتتابعها.

---

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٧م، ص٦٥.

(٢) البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠١٢م، ص٦.

(٣) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٢٩-١٤٥.

(٤) اللُّغة والحِجَاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص١٦.

ويتضح أنَّ الحِجَاج عند العرب المحدثين برز في ثلاثة اتجاهات: أولها: فلسفي ويمثِّله "طه عبدالرحمن"، وثانيها: بلاغي ويمثِّله "محمد العمري"، وثالثها: لغوي ويمثِّله "أبو بكر العزاوي".

أمَّا الحِجَاج في القرآن الكريم فإنَّ له طبيعة خاصَّة، يكتسبها من خصائص الخطاب القرآني، الذي «يرمي إلى تغيير وضع ذهني يترتَّب عليه ضرورة تغيير وضع مادي»[١]، ويسعى إلى الإفهام والإقناع من خلال استثمار اللُّغة وإمكاناتها الواسعة.

وخلاصة القول: إنَّ الحِجَاج هو عمليَّة تخاطبيَّة تكون بين طرفَيْن فأكثر حول أطروحة ما، وتكتسب أبعادها من الأحوال المصاحبة لهم، وتهدف إلى استمالة الآخرين والتأثير فيهم وإقناعهم بما يعرض عليهم، ويكون ذلك عن طريق آليات لغويَّة وبيانيَّة متعدِّدة.

(١) الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، ص٤٣.

المبحث الثاني

حجاجية التشبيه في السور المكية

يتناول هذا المبحث التشبيه في السور المكيَّة، ويسعى إلى الوقوف على حِجَاجيَّته تطبيقيًّا، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام:٧١]، وبرز التشبيه في هذه الآية الكريمة واصفًا حال الذي يرتد على عقبَيْه من دون هدى وبصيرة، بعد أن مَنَّ الله عليه بالهداية إلى الرشاد والحق.

والمحاجَّة تنهض على عقد المشابهة بين حالَيْن: حال الذي يعود إلى الكفر والشرك والضلالة بعد الإيمان والإسلام، وحال الذي استهوته الشياطين، فألقته في أرض فلاة محتارًا تائهًا ضالًّا عن الطريق، وهناك مَن يدعوه إلى السير في الطريق الصحيح، ولكنَّه لا يستجيب له. ويدل هذا «على أنَّ عرضًا من المشركين كان لبعض المؤمنين لأن يعبدوا معهم آلهتهم، فأمر الله رسوله أن يرد عليهم عرضهم الرخيص منكرًا عليهم ذلك أشد الإنكار»(١)، ورادعًا لمَن سولت له نفسه من المؤمنين قبوله، ومؤكِّدًا أنَّ الهدى الحق هو هدى الله وحده، والعودة، بعد وضوح البيِّنة وقيام الحجَّة التي تفصل الحق من الباطل، كفر وفسوق وضلال، وسبب الحرمان والحيرة والبُعد عن الله.

وفاعليَّة التشبيه مبنية «على ما تزعمه العرب وتعتقده أنَّ الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه»(٢)، وتجعله هائمًا على وجهه من غير هداية. وهذا

(١) أيسر التفاسير لكلام العليِّ الكبير، أبو بكر الجزائري، دار راسم للدعاية والإعلان، جدَّة، ط٣، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ٧٨/٢.

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، اعتنى به وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ٣٣٣/٧.

المشهد راسخ في أذهان المخاطَبين من خلال التراكم الثقافي والمعرفي، وإنكار حدوثه يعادل إنكار المشاهَدات والمحسوسات في الواقع. وبذلك يتحقَّق التأثير فيهم وإقناعهم بأنَّ مصير المرتدِّين عن الدين مثل مصير التائهين عن الطريق الصحيح في صحراء مهلكة.

وفي بيان أثر الإيمان والكفر على الإنسان ورد التشبيه في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢]، ويبيِّن الحالة التي يكون عليها عند اتخاذه أحد الأمرَيْن، فالإيمان يمنح صاحبه حياة ونورًا يمشي به في الأرض، بينما الكفر يجعل صاحبه ضالًا ميِّتًا لا حياة فيه.

وترتكز محاجَّة التشبيه على أنَّه شبَّه مَن أحياه الله بالإيمان بعد أن كان ميِّتًا بالضال الذي لا خروج له من ظلمات كفره وطغيانه، وشبَّه تزيين الأعمال السيئة للكافرين بمَن زيِّن له أن يمكث في الظلمات متحيِّرًا، وفيها أكَّد «تفظيع حال المشركين، ووصَفَ حسن حالة المسلمين حين فارقوا الشرك، فجاء بتمثيلَيْن للحالَتَيْن، ونفَى مساواة إحداهما للأخرى تنبيهًا على سوء أحوال أهل الشرك وحسن حال أهل الإسلام»[(١)]، الذين مَنَّ الله عليهم بالهداية إلى طريق الفلاح والصلاح، وصرفَهم عن الكفر والعصيان.

ومفعول التشبيه الحِجَاجي يأتي من تقرير حقيقة الإيمان وحقيقة الضلال، ورصد علاقات التضاد بينهما؛ لأنَّها تقوم على تعميق أثر التمثيل في نفوس المتلقِّين، ممَّا يقودهم إلى التمييز بين الحق والباطل، والابتعاد عن ميادين الشرك والمشركين، والاقتناع بالمنهج الإسلامي القويم الذي يضيء حياة المسلم بأنوار الوحي الإلهي.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسيَّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٨/٤٣.

إنَّ استكناه هاتَيْن الحقيقتَيْن المتضادَّتَيْن من منابعهما الصحيحة، وتوظيفهما في سياق تحديد مصير الإنسان الدنيوي والأخروي، يساعد على تجلية قصديَّة الخطاب القرآني المناهض لمسألة المساواة بينهما، والمتشكِّل من البون الشاسع بين النور الذي يملأ الحياة حياة وإشراقًا، ويهتدى به، وبين الظلام الذي يتخبَّط به مَن زاغ قلبه وعقله عن مواطن التوحيد والخير على غير بصيرة ودراية وفطنة.

وتتأسَّس العلاقة بين النور والظلام عن طريق الاعتماد على مشاهَدات الحياة اليوميَّة، فالنور في الواقع يحمل خصائص تميِّزه عن الظلام، ويستمدُّ منه الوضوح والقوَّة والوعي، ويرمز إلى الحق القاطع وسُبل الهدى، أمَّا الظلام ففيه الضياع والتيه والحيرة، ويرمز إلى الباطل ومكامن الضلال، وكلاهما يعينان العقل البشري على استيعاب جدليَّة الإيمان والكفر.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام:١٢٥] أتى التشبيه مبيِّنًا أحوال الإنسان الضال عن الإسلام، والعاقبة الوخيمة التي ينتهي إليها؛ جزاء بما كان يعتقد ويفعل.

وتتجلَّى الحجيَّة في أنَّه شبَّه حال الذي ضلَّ عن ذكر الله، وما فيه من ضيق الصدر والحرج، بحال الذي يصَّعَّد في السماء[1]؛ لأنَّ «الصاعد يضيق تنفُّسه في الصعود، وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيَّلة؛ لأنَّ الصعود في السماء»[2] مثل في الامتناع، والبُعد، وعدم المقدرة عليه، فكذلك حال الضال مع الإيمان يمتنع منه،

(١) أثبت العلم حديثًا أنَّ «الإنسان عند صعوده في الهواء يضيق صدره، وكلَّما ارتفع اشتد هذا الضيق حتى يصير في مأزق حرج، لا يمكنه التخلُّص منه إلا بالوسائل التي هداه إليها العلم، والتي يستعملها الطيَّارون اليوم». القرآن والعلم، أحمد محمود سليمان، الدار القوميَّة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص٣٦.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٨/٦٠.

ويبعد عنه، ولا يقدر عليه؛ بسبب كفره وضلالته وطغيانه، فقد أنزل نفسه منزلة لا تطيقها، وتقودها إلى الخذلان والعذاب والهلاك. ولذا أراد الله أن يقدّم برهانًا معلومًا لدى الناس، يثبت فيه أنَّ الأمر كله بيده وحده، ولا يحدث شيء في الكون إلا بعلمه ومشيئته وتدبيره.

إنَّ استحضار حالة الصعود إلى السماء وحالة وصول صدر الضال إلى الحرج معًا في المخيَّلة، تؤدِّي إلى الوقوف على نتيجة الكفر والفسوق والعصيان، وتدفع إلى تحقيق التأثير في وجدان العاصي وإقناعه بأنَّ الحياة الطيِّبة الهانئة لا تكون إلا بالانكسار بين يدي الله والإيمان به واتباع رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وتسهم أيضًا في ثبات المؤمن على إسلامه بانشراح صدره وعصمته من الضيق والهم، الذي يقع في صدر المعرض عن دعوة الله إلى الدين الحنيف.

وفي بيان نهاية الذين كذَّبوا بالآيات واستكبروا عنها ورد التشبيه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ ﴾ [الأعراف:٤٠]، ويكشف عن المنتهى الذي وصلوا إليه بعد تكبُّرهم وإعراضهم عن النور المبين.

والحجَّة تقوم على أنَّه شبَّه حرمان الذين كذَّبوا بآيات الله واستكبروا عنها من الجنَّة بامتناع ولوج الجمل[1] في سم الخِياط[2]، وفيه «تمثيل لحرمانهم من وسائل الخيرات الإلهيَّة الروحيَّة، فيشمل ذلك عدم استجابة الدعاء، وعدم قبول الأعمال

---

(١) الجمل: هناك قولان يفسرانه: الأول: البعير المعروف عند الناس. والثاني: الحبل الغليظ الخاص بالسفن. والفصل في ذلك «أنَّ الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه، إلا أنَّ قراءة العامَّة أوقع؛ لأنَّ سم الإبرة مثل في ضيق المسلك... والجمل مثل في عظم الجرم». تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٣٦٣/٨.

(٢) سم الخِياط: «ثقب الإبرة». معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النَّحَّاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكَّة المكرَّمة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م، ٣٦/٣.

والعبادات، وحرمان أرواحهم بعد الموت مشاهدة مناظر الجنَّة ومقاعد المؤمنين منها»[1]، وتخليدها في نار جهنَّم؛ لأنَّهم لم يقدِّموا في الدنيا شيئًا لحياتهم الأخرويَّة الباقية، وغير مكترثين بنداء الله الذي يقودهم إلى الخير والفلاح والنجاة من العذاب الشديد، فجزاهم الله عن تكذيبهم واستكبارهم أن أعرض عنهم، وصرفَهم عن فعل الطاعات والصالحات.

إنَّ ارتباط قبول أعمال الكافرين ودخولهم الجنة بولوج الجمل في ثقب الإبرة أمر مستحيل الحصول ومستبعد؛ لأنَّ «العرب إذا أرادت تأكيد النفي، علَّقته بما يستحيل وقوعه، فيقولون: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتى تتفطَّر السماء»[2] وهكذا، وهو أسلوب شائع في كلامهم. وجاء في هذه الآية الكريمة مدعِّمًا موضوعها الرئيس بالأدلَّة والبراهين، ويقوم بتجلية جانبَيْن: الأول: قدرة الله، ووحدانيَّته، وحكمته، وتدبيره، وانفراده بالألوهيَّة والعبوديَّة. والثاني: مصير أولئك المكذِّبين المستكبرين الذين صدُّوا عن سبيل الحق، ولم ينظروا إليه بتاتًا، واحتقروه تكبُّرًا وغرورًا، وتركوه وراء ظهورهم.

ويستمدُّ التشبيه مفعوله الحِجَاجي من الاعتماد على المخزون الذهني، الذي ترسَّخ عن طريق العادة والعُرف والشيوع، إذ «أحال على ما هو معروف عند الناس من حقيقة الجمل وحقيقة الخِياط، ليعلم أنَّ دخول الجمل في خَرْت الإبرة محال متعذِّر ما داما على حالَيْهما المتعارفَيْن»[3]، وهذا يزيد من قوَّة حضورها في الذهن، ويجعله قابلًا للإذعان والتسليم بهذه الأطروحة التي تتمحور حول (حرمان الكفَّار من الجنَّة)؛ نتيجة (كفرهم، وعنادهم، وتكبُّرهم، وعصيانهم).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١٢٦/٨.

(٢) الإبداع البياني في القرآن العظيم، محمد علي الصابوني، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م، ص٩٦.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ١٢٨/٨.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥، ١٧٦] ظهر التشبيه مجلِّيًا حال الرجل[١] الذي انسلخ عن آيات الله، ولم ينتفع بما أتاه من العلم والحكمة، واتبع هواه والشيطان، فغوى وضلَّ عن الطريق السليم.

وحِجَاجيَّة التشبيه تكمن في أنَّه شبَّه هيئة الرجل المنسلخ من الدين، والمتبع للشياطين والهوى، ومَن سار على نهجه من الكافرين المكذِّبين، بهيئة الكلب اللاهث[٢] في كل أحواله، وبينهما صلة قويَّة في المذلَّة والخسَّة والحقارة؛ لأنَّ «المنسلخ يظلُّ غير مطمئن القلب، مزعزع العقيدة، مضطرب الفؤاد، سواء أدعوته إلى الإيمان، أم أهملت أمره، كالكلب يظلُّ لاهثًا، طردته وزجرته، أم تركته وأهملته»[٣]، وهذه طبيعة فيه لا يمكن أن يتركها مهما حدث. والإنسان بأي حال من الأحوال لا يُقبل منه، بعد وضوح البرهان وقيام البيِّنة، مخالفة التعاليم الإسلاميَّة والانسلاخ منها؛ لأنَّ الله قد منَّ عليه بنعم كثيرة، أهمها العقل الذي يميِّز به الحق من الباطل، ولذا، فهو مكلَّف ومحاسب على أقواله وأفعاله ومعتقداته.

ويكتسب التشبيه فاعليَّته من تجسيد صورة الرجل المنسلخ من الدين بمشهد محسوس في الحياة الواقعيَّة، ويؤكِّد الحالة المؤسفة التي وصل إليها بعدما كان عزيزًا في رحاب الله. وفي هذا عظة واعتبار وتحذير من الاغترار بالعلم والعمل

(١) هو «عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء». تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٩/٣٩٦.

(٢) لهث الكلب: «إذا أخرج لسانه من التعب أو العطش». لسان العرب، مادَّة: (لهث)، ١٣/٢٤١.

(٣) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، ٢٠٠٥م، ص١٥٨.

والتمكين، واتباع الأهواء الدنيئة، والركون إلى الدنيا وملذَّاتها، والوقوع في أوحال الضلالة وتيه الغواية، وترك ما أرشد الله إليه من الهداية والإيمان والتقوى.

إنَّ معرفة نتيجة الانسلاخ من الإسلام كفيلة بإقناع الكفَّار المكذِّبين والتـأثير فيهم، وتغيير أفكارهم ومواقفهم من الكفر والتكـذيب إلـى الطاعـة والتصـديق، وإعادتهم إلى جادَّة الصواب وسبيل الهـدى، وإبعـادهم عـن ظلمـات الفسـوق والعصيان.

وفي سياق الإخبار عن مآل أعمال الكافرين برز التشبيه في قولـه تعـالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ [إبراهيم:١٨]، ويبيِّن الجزاء المستحق لأعمالهم التي بنوها على أساس غير صحيح، فصارت هباء منثورًا لا ينتفعون بشيء منها في يوم الحساب.

وترتكز محاجَّة التشبيه على أنَّه شبَّه هيئة أعمال الكفرة في الآخـرة بهيئـة الرماد الذي اشتدَّت به الريح في يوم عاصف، فأصبح أثرًا بعد عين. وقد «اجتمـع المشبَّه والمشبَّه به في الهلاك، وعدم الانتفاع، والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة»(١)؛ لأنَّ أعمالهم كصـلة الأرحـام، وبـر الوالدين، وإكرام الضيف، ونجدة الملهوف ونحوها، يُبطلها الكفر، ويُذهب بركتهـا، وتكون وبالًا على أصحابها يوم القيامة، فلا ثمرة ترجى من ورائها، ولا غناء فيها ينتظر.

ويتضمَّن عقد المشابهة بين بطلان أعمال الكفَّار والرماد المتجمِّع والمتطاير طاقات حِجَاجيَّة، تسعى إلى تقريب المشهد من أذهان الناس؛ للتأثير فيهم وإقنـاعهم بأنَّ الأعمال المقدَّمة، مهما كانت قريبة من الخير والصلاح، إذا لم تكن مبنية على أساس الإسلام المتين، فإنَّها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، ولم يجده شيئًا، فكذلك

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّمَّاني والخطَّابي وعبدالقاهر الجرجـاني فـي الدراسـات القرآنيَّة والنقد الأدبي، ص٨٢.

حال الكفرة والعصاة والجبابرة يظنُّون أنَّ أعمالهم سبب في دخولهم جنَّات النعيم، والنجاة من العذاب الشديد، وهي غير مقبولة البتَّة عند الله، ولا تنفعهم في الموقف العظيم، الذي يكون فيه الإنسان إمَّا في الجنَّة منعَّمًا، وإمَّا في النَّار معذَّبًا.

ويأتي مفعول التشبيه الحِجَاجي من خلال نقل المعقول إلى المحسوس، وجعله في صورة حسيَّة مؤثِّرة مقنعة، تؤكِّد أنَّ أعمال الكافرين لا وزن لها في ميزان الآخرة، وبطلانها مبني على بطلان اعتقادهم ومذهبهم؛ لأنَّ الأساس ليس تقديم العمل نفسه، وإنَّما الباعث على العمل من معتقد ونيَّة(١) وغاية وقصد.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٤: ٢٦] أتى التشبيه مبيِّنًا ما ينتج عن الكلمة الطيِّبة من أعمال صالحة ظاهرة وباطنة، وما ينتج عن الكلمة الخبيثة من أفعال قبيحة وباطلة تتعارض مع المنهج الإسلامي القويم.

وتظهر الحجيَّة في أنَّه شبَّه الكلمة الطيِّبة بالشجرة الطيِّبة الثابتة، وشبَّه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة غير الثابتة(٢)، فالأول تكون فيه «الهيئة الحاصلة من البهجة في الحس والفرح في النفس، وازدياد أصول النفع باكتساب المنافع المتتالية بهيئة

---

(١) وقد ورد في الحديث أنَّ رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– قال: «الأعمال بالنيَّة، ولكل امرئ ما نوى...إلخ». صحيح البخاري، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أنَّ الأعمال بالنيَّة والحِسْبَة ولكل امرئ ما نوى، رقم الحديث: ٥٤، ص٢٠.

(٢) جاء في الحديث «عن أنس بن مالك قال: أُتيَ رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– بقناع عليه رطب، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ **[إبراهيم:٢٤–٢٥] قال: (هي النخلة)** ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ **[إبراهيم:٢٦] قال: (هي الحَنْظَلَة)». الجامع الكبير، أبو عيسى محمد الترمذي، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، أبواب تفسير القرآن، رقم الحديث: ٣١١٩، ١٩٥/٥.**

رسوخ الأصل، وجمال المنظر، ونماء أغصان الأشجار، ووفرة الثمار، ومتعة أكلها. وكل جزء من أجزاء إحدى الهيئتَيْن يقابله الجزء الآخر من الهيئة الأخرى»(١)، بينما الثاني يكون «على الضد بجميع الصفات الماضية من اضطراب الاعتقاد، وضيق الصدر، وكدر التفكير، والضر المتعاقب. وقد اختصر فيها التمثيل اختصارًا اكتفاء بالمضاد، فانتفت عنها سائر المنافع للكلمة الطيِّبة»(٢)؛ لأنَّ الأرض التي غرست فيها تختلف عن تلك، بما تحمله من مقوِّمات وسمات.

إنَّ استدعاء مظهر محسوس من مظاهر البيئة المعهودة في الحياة اليوميَّة، وتوظيفه في سياق بيان أثر الكلمة الطيِّبة والكلمة الخبيثة في أرض الواقع، يزيد من ترسيخ هاتَيْن الصورتَيْن في عقول المتلقِّين، ويجعلها أكثر تأثيرًا وإقناعًا بالأطروحة التي تدور حول (الدعوة إلى الإيمان بالله، والحث على الكلم الطيِّب والعمل الصالح، والبُعد عن الشرك والمحظورات الخبيثة)؛ لأنَّ الله يثبِّت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيويَّة والحياة الأخرويَّة، ويضلُّ الذين كفروا عن سبيل المؤمنين الصالحين، فلا حجَّة لهم تقرع، ولا أساس ثابت يعملون عليه.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢] جاء التشبيه واصفًا حال الذين ينقضون العهود بعد توكيدها، غير ملتزمين بما ورد فيها من بنود واتفاقيات قد أبرمت على الصدق والوفاء والأمانة، فلهم يوم القيامة عند ظهور الحقائق الجزاء الأوفى بما كانوا فيه يختلفون.

ومحاجَّة التشبيه تكمن في أنَّه شبَّه ناقضي العهد بعد توكيده بالمرأة الحمقاء(٣)

(١) تفسير التحرير والتنوير، ٢٢٤/١٣.
(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٢٢٤/١٣-٢٢٥.
(٣) قيل: «هي ريطة بنت سعد بن تيم. وكانت خرقاء اتخذت مغزلًا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهنَّ فينقضن ما غزلن». تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٥٨٢/١٤.

التي نقضت[١] غَزْلها[٢] من بعد شدِّ فتله وإحكامه أنكاثًا[٣]، وفيه «تقبيح نقض العهود الموثقة وتشنيع فعلها، لذلك نرى كل جزئيَّة في هذا التشبيه تشيء بالتحقير والترذيل لتشويه هذا الفعل في النفوس»[٤]، وردعها عن القيام به؛ لأنَّه من الواجب الشرعي أداء الأيمان والمواثيق، والالتزام بها يحقِّق الثبات على المبدأ، ويساعد على استمرار الجهد وإنجاز الوعد، ويُنبئ عن كمال الوعي وقمَّة الإدراك، ويبني جسورًا من الوفاء والإنصاف والتوافق.

وتتأسَّس العلاقة بين نقض العهد ونقض الغَزْل عن طريق انتزاعها من تجارب الحياة اليوميَّة الحسيَّة، فالغَزْل له أهميَّة كبيرة في الواقع، حيث يتخذ منه البيوت والفرش وغيرهما، فهو وسيلة مهمَّة من وسائل الحياة والعيش، وكذلك العهود لها أهميَّة مماثلة للغَزْل. وينتج عن هذه العلاقة معرفة حقيقة ناقض العهد بأنَّه جاهل وعديم الرجولة، ولذا شبَّهه بالمرأة ناقضة الغزل.

ويسهم استحضار المشهد الحسي الملموس (نقض الغَزْل) في تجلية تفاصيل الأمور المعنويَّة العقليَّة (نقض العهد)، وتقريبها من أفهام المخاطَبين وكفايتهم الثقافيَّة؛ للتأثير فيهم وإقناعهم بوجوب المحافظة على العهود والأيمان والمواثيق؛ لأنَّ الله أمرَ بذلك، ونهى عن نقضها والإخلال بها تنفيرًا عن فعل هذا الصنيع،

(١) النَّقْض: «إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء... النَّقْض ضد الإبرام». لسان العرب، مادَّة: (نقض)، ١٤/٣٣٩.

(٢) الغَزْل: «فتل نتف من الصوف أو الشَّعر لتُجعل خيوطًا محكمة اتصال الأجزاء بواسطة إدارة آلة الغَزْل، بحيث تلتفُّ النُّتف المفتولة باليد، فتصير خيطًا غليظًا طويلًا بقدر الحاجة ليكون سُدى أو لُحمة للنَّسْج». تفسير التحرير والتنوير، ١٤/٢٦٥.

(٣) النَّكْث: «نَقْض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها». لسان العرب، مادَّة: (نكث)، ١٤/٣٥٠.

(٤) بلاغة الفرائد القرآنيَّة، سارة بنت نجر العتيبي، دار مستقبل الكتاب للنشر والتوزيع، جدَّة، ط١، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م، ص٥٩٤.

وتقبيحًا لمن قام به. وهذه دعوة إلى التفكُّر والتأمُّل في خطورة نقض المعاهدات، وما يترتب عليها من سوء العاقبة والخصام والضغينة، والرجوع إلى الفساد بعد المضي في طريق الصلاح.

وفي خضم الحديث عن الحياة الدنيا ورد التشبيه في قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف:٤٥]، ويكشف عن شدَّة ضعفها وسرعة اضمحلالها، وهذا يؤدِّي إلى التنفير منها، والاقتناع بزوالها وتبدُّد آمال المعوِّلين عليها، فيجب التمسُّك بالعروة الوثقى المنجية من العذاب وبئس المآب.

والمحاجَّة تتجلَّى في أنَّه شبَّه حال الحياة الدنيا في بهجتها ونضرتها وما يليها من فناء وهلاك، بحال النبات الذي اختلط به الماء النازل من السماء، فصار أخضرَ بهيًّا وارفًا، ثم يصبح بعد ذلك هشيمًا يابسًا محطَّمًا تطيِّره الرياح، فيتفرَّق في كل مكان غير منتفع به. ويتضح أنَّ «أعظم حائل بين المشركين وبين النظر في أدلَّة الإسلام انهماكهم في الإقبال على الحياة الزائلة ونعيمها، والغرور الذي غرَّ طغاة أهل الشرك، وصرفهم عن إعمال عقولهم في فهم أدلَّة التوحيد والبعث... وكانوا يحسبون هذا العالم غير آيل إلى الفناء»[(١)]، وهذه نظرة خاطئة تقودهم إلى نهاية مؤسفة، لا تنسجم مع العقل والواقع في وجود البراهين والدلائل المقنعة، والمؤكِّدة لحقارة الدنيا وسوء عاقبة المفتونين فيها، وإثبات البعث بعد الموت.

إنَّ «مشهد الخضرة تتحوَّل إلى حطام وهشيم، هو بلا مراء من أعظم مشاهد الطبيعة تأثيرًا في وجدان العربي ساكن شبه الجزيرة، وهو في الوقت نفسه من أكثر المشاهد تكرُّرًا في حياته، بحيث يكون هذا المشهد من أعلق المشاهد بذاكرته، ومن أشدها وقعًا عليه»[(٢)]، وبخاصَّة عند الحديث عن تقلُّب أحوال الدنيا الفانية، التي تتزيَّن إليه بزخارفها وحسنها؛ لإغوائه وإشغاله عن الاستعداد إلى يوم الجزاء.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١٥/٣٣٠.

(٢) الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، ص٥٠٤.

ويستمدُّ التشبيه فاعليَّته من تجسيد المعقول صورة الحياة الدنيويَّة بالمحسوس صورة النبات الأخضر اليانع المتحوِّل إلى هشيم يابس، ويسعى إلى الوقوف على حقيقة الدنيا الزائلة، والانتقال من حال إلى حال، وهذا يجعل المتلقِّي أكثر قبولًا وتسليمًا بهذه الفكرة المدعَّمة بالبرهان والبيِّنة، التي تغيِّر مواقف المنغمسين في الملذَّات والمغريات من اللعب واللهو إلى العبادة والطاعة؛ بغية الحصول على مغفرة الله ورضوانه، والبُعد عن مسبِّبات الهلاك والعذاب. فالحجَّة (الدنيا زائلة كنبات تذروه الرياح)، والنتيجة (إثبات البعث والحساب في الآخرة).

وفي وصف حال الكافرين ظهر التشبيه في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت:٤١]، ويبيِّن النهاية المؤسفة التي ينتهون إليها، بعد أن امتنعوا عن الامتثال لأمر الله، واتخذوا من الأضعف أولياء لهم من دونه.

وحِجَاجيَّة التشبيه تكمن في أنَّه شبَّه هيئة المتخذين من دون الله أولياء بهيئة العنكبوت التي اتخذت بيتًا(١)، وفيه «أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في ضعف المعتَمَد، ووهاء المستَنَد، وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين، مع الشعور بما فيه التوهين»(٢)؛ لأنَّهم ضعفاء اتخذوا أولياء أضعف منهم، فزدادوا بهم ضعفًا ووهنًا، ولم يجدوا منهم إلا الهوان والخزي. وفي هذا دليل قاطع على بطلان الشرك بالله، وضعف المشركين وخسارتهم في تحقُّق ضد ما يتمنَّونه من العزَّة والقوَّة والتمكين، وهو الذل والضعف والضعة؛ جزاء لهم على شركهم وكفرهم.

---

(١) أثبت العلم الحديث أنَّ بيت العنكبوت أوهن البيوت على الإطلاق من الناحيتَيْن: الأدبيَّة الأخلاقيَّة المعنويَّة، والماديَّة. ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطَّهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص٤٩٩-٥٠٢.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّمَّاني والخطَّابي وعبدالقاهر الجرجاني في الدراسات القرآنيَّة والنقد الأدبي، ص٨٤.

والعلاقة بين مَن يتوسَّل بغير الله وبيت العنكبوت الواهي تتأسَّس عن طريق تحويل الأمور المعنويَّة غير المرئيَّة إلى صورة مرئيَّة محسوسة، والغرض منها تقريب المشهد من أفهام المتلقِّين وعقولهم؛ لكي يؤثِّر فيهم ويقنعهم بأنَّ الشرك واتخاذ أولياء من دون الله يقودهم إلى الوهن والوضاعة، ويبعدهم عن مواطن القوَّة والرفعة، التي لا تكون إلا من خلال إفراد الله وحده بالعبادة والطاعة والتوكُّل.

إنَّ استحضار حالة العنكبوت وبيتها الواهن من المشاهَد المادِّيَّة اليوميَّة، وإعمالها في تبيان حالة المتوسِّلين بغير الله، طريقة إلى معرفة نتيجة الاعتماد على غيره في صغائر الأمور وكبائرها، ومحاولة إزالة الفكرة السابقة من عقول البشر التي تتمثَّل في (اتخاذ أولياء من دون الله)، وتبديلها بالفكرة الجديدة التي تتمحور حول (انفراد الله وحده في كل شيء لا شريك له)، وهذا يجنِّبهم أن يكون حالهم كحال العنكبوت وبيتها الضعيف.

وفي قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم:٢٨] أتى التشبيه مجلِّيًا حال المشركين الذين اتخذوا لله شركاء في الألوهيَّة والعبوديَّة، ولم يرضوا أنفسهم أن يشاركهم عبيدهم ومماليكهم ويساوونهم في أي شيء يملكونه، فكذلك الله لا يرضى أن يشاركه أحد ويساويه في وحدانيَّته وملكوته وربوبيَّته.

والمحاجَّة تقوم على أنَّه شبَّه هيئة المشركين الذين جعلوا لله شركاء في العبادة والطاعة بهيئة السادة الذين لهم عبيد ومماليك، فصاروا يشاركونهم في أرزاقهم على السواء، وشبَّه خوف أسياد العبيد من مشاركة عبيدهم لهم فيما يملكون بالخوف من مشاركة الأحرار بعضهم البعض، وهذه «الهيئة المشبه بها هيئة قبيحة مشوَّهة في العادة لا وجود لأمثالها في عرفهم، فكانت الهيئة المشبهة منفية

منكرة»[١]، ومسهمة في إبراز المعنى الاعتقادي الباطل الذي بنوا عليه عقيدتهم وعبادتهم، حيث قادهم إلى اتخاذ أولياء وشركاء يتوسَّلون بهم من دون الله. ولذا جاءت هذه الآية الكريمة؛ لتواجه قضيَّة رئيسة من قضايا الشرك والتوحيد، وتفنِّد حجج المشركين الواهية بالعقل والبرهان، وتقيم عليهم الحجَّة الدامغة؛ لإثبات وحدانيَّة الله وألوهيَّته وعظمته، وهدم صوامع الشرك والكفر والوثنيَّة.

ويستقي التشبيه فاعليَّته «من الفضاء الاجتماعي الذي تنشط فيه مجموعة المتلقِّين الأولين، وفيه تتحرَّك وتنسج مجمل علاقاتها الخاصَّة والعامَّة... إذ مدار الأمر على علاقة العبد بالسيِّد مطلقًا، وهي على كل حال علاقة معروفة»[٢] من قِبلهم، ومنتزعة من أحوالهم وواقعهم المعيش، وتسعى إلى تقريب الصورة من أذهانهم وأفهامهم؛ لكي تكشف عن حقيقة المعتقد الباطل وضلال أصحابه وفساد أعمالهم، وتؤدِّي بهم إلى الإذعان والتسليم والامتثال لأوامر الله ونواهيه، ونفي الشريك عنه في مُلكه وصفاته وأفعاله، وإخلاص العبادات والأعمال له وحده دون سواه.

ويتضمَّن تشكيل المعاني المعقولة في صورة مشاهَدة حسيَّة حمولة حِجَاجيَّة وإقناعيَّة، تأتي من وعي المخاطَبين وإدراكهم لمسألة الإشراك والمساواة التي لم يقبلوها على أنفسهم أصلًا، فكيف يريدون أن يقبل بها الله الذي بيده ملكوت كل شيء! وهذا يدل على تفكيرهم السطحي المحدود، وبطلان الأسس التي قامت عليها دعواهم الزائفة، وتأكيد الوحدانيَّة من الواقع البشري نفسه. واختصَّ أهل العقل بالذكر من بين الخلائق؛ لأنَّ من طبيعتهم يتفكرون في الآيات البيِّنات، ويقبلون عليها مقتنعين بالدلائل المفصَّلة من غير مكابرة وإعراض، ومنتفعين بما فيها من حكمة وخير وتوجيه، ومَن لم يتسم بهذه الصفات فليس منهم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ٨٦/٢١.

(٢) الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، ص٥٢٠-٥٢١.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم:٥٠] برز التشبيه دالًّا على قدرة الله وعظمته وإتقانه في الإنشاء والإحياء والإعادة، ممَّا يوجب الإيمان به، وتوحيده، وعبادته، وطاعته، والتقرُّب إليه.

والحجَّة تنهض على أنَّه شبَّه هيئة إحياء الأموات بهيئة إحياء الأرض بعد موتها، وفيه «تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر قدرة الله تعالى في الكون»[١]، والاستدلال على حكمته وتدبيره وتفرُّده بهذا الصنيع العجيب الذي لا يقدر على فعله سواه، ويتمثَّل في إعادة الحياة بعد الموت، وتؤكِّد هذه البراهين القاطعة أنَّ الله وحده المنفرد بكل شيء في الأرض وفي السماء، والحقيق بالألوهيَّة والعبوديِّة.

ويكتسب التشبيه مفعوله الحِجَاجي من توظيف المشاهَد في الحياة الواقعيَّة في سياق الإخبار عن أمر غيبي، يحدث للموتى في الآخرة عند البعث والنشور، وبين المرئي والغيبي حالة من المماثلة في الشكل والمضمون؛ لأنَّهما «قياس الغائب على الشاهد، أو استدلال بالشاهد على الغائب، أي إثبات البعث بناء على ثبوت ظاهرة مشابهة هي إحياء النبات»[٢] برحمة الله وقدرته ومشيئته.

والخطاب هنا يتغيَّا أمرَيْن رئيسَيْن: الأول: إبراز عظمة الله وهيبته، وسعة نعمه وفضله، وبديع صنعه الذي أتقن كل شيء. والثاني: إبطال دعوى منكري البعث والحساب يوم القيامة، والرد عليهم بالحجج المقنعة والأدلَّة القطعيَّة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبويَّة، والمؤكِّدة لوقوع البعث في يوم الجزاء؛ لكي تزيل من عقولهم وأفكارهم الضلالات والشبهات، وتهديهم إلى الحق المبين والصراط المستقيم.

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العليِّ الكبير، ٤/١٩٠.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١٠، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ١١/١١٩.

وينطوي عقد المشابهة بين إحياء الأرض الميِّتة وإحياء الأموات على طاقات حِجَاجيَّة وإقناعيَّة، تؤدِّي إلى تجلية حقيقة ما يحدث في الآخرة، وترسيخها في أذهان الناس؛ لإقناعهم بأنَّ الدنيا دار ممر لا دار مقر، والحياة الحقيقيَّة تبدأ بعد الانتقال منها، وهذا ما يدعو إلى التفكُّر والاعتبار والتزوُّد من الأعمال الصالحة والنافعة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان:٧] جاء التشبيه مبيِّنًا حال مَن يعرض عن آيات الله، ويستكبر عنها غير مستجيب لما ورد فيها من أوامر ونواهٍ، فيبشر بعذاب أليم؛ جزاء له على شدَّة استكباره، وفرط عناده، وتولِّيه عن دعوة الحق.

وتتجلَّى الحجيَّة في أنَّه شبَّه حالة تولِّي المستكبر بعد سماع الآيات المحكمات بحالة تولِّي مَن لم يسمعها أصلًا، وأراد أن يزيد التشبيه تأكيدًا، فشبَّهه أيضًا بحالة مَن في أذنَيْه وقر(١)، ويظهر أنَّ المعرض قد وصل إلى مرحلة حرجة، فحالته «بعد سماع الآيات كحالته تمامًا قبل سماعها، وتلاوتها عليه؛ وذلك لعدم تأثُّره بهذه الآيات، والانتفاع بها، فسماع هذه الآيات دون قبول حكمها، والعمل بما جاء فيها في حكم العدم»(٢)، على الرغم من شأنها أنَّها تجعل الناس يقبلون عليها، ويصغون إليها، وتكون سبب هدايتهم إلى الرشاد والفلاح. وهذا يكشف عن أمرَيْن: أولهما: مكانة القرآن الكريم، وما فيه من نور يهدي إلى سبيل أقوم، والسعيد الذي يسعد به سعادة أبديَّة. وثانيهما: موقف مَن أعرض عن النور الساطع، وأقبل على الظلام الحالك، وعاش في شقاء مقيم خاسرًا دنياه وآخرته.

---

(١) الوَقْر: «ثقل في الأذن... وقيل: هو أن يذهب السمع كله». لسان العرب، مادَّة: (وقر)، ٢٥٦/١٥.

(٢) التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن: دراسة بلاغيَّة تحليليَّة، عبدالعزيز صالح العمَّار، جائزة دبي الدوليَّة للقرآن الكريم، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص١٦.

وفاعليَّة التشبيه تعتمد على المخزون الذهني، إذ استدعى هيئة المستكبر التي من طبيعتها تقتضي عدم السماع، وهيئة مَن به وقر وصمم يمنعانه نهائيًّا من السماع، وكلتا الهيئتَيْن موجودة في الحياة المعيشة، وتشتركان في مسألة الامتناع عن الاستجابة لكلام الله استكبارًا عنه، وكفرًا به، وجحودًا له وإنكارًا. والإشكاليَّة تنبع من المعرض نفسه، وموقفه المناهض للإسلام، وليست من الآيات نفسها.

وللتشبيه دور فاعل في ترقية الخطاب تصاعديًّا، حيث تدرَّج في وصف العمليَّة التواصليَّة بين الذكر الحكيم والمعرض، فكلَّما تُليت عليه البيِّنات الهاديات ولَّى مستكبرًا عنها كأن لم يسمعها بتاتًا، بل كأنَّ في أذنَيْه وقرًا يمنعه من الاستماع والانتفاع، وليس هناك ما يستدعي الإيغال في الإعراض سوى الكفر والطغيان والوقوف ضد الدعوة الإسلاميَّة، فكانت النتيجة (الحرمان من خيرات الدنيا ونعيم الآخرة، والتبشير بالعذاب الأليم). وهذه عظة واعتبار وتحذير من هذا الرجل الضال، وإظهار جرمه الشنيع، والإنكار عليه جملة وتفصيلًا، ولا يضير القرآن الكريم إدبار المدبر وإقبال المقبل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾ [القمر:٥٠] ظهر التشبيه دالًّا على القدرة الإلهيَّة في سرعة وقوع الخلق والإيجاد بحكمة وتدبير، فلا شيء يحدث محض صدفة دون تقدير، وإنَّما خلقه بقدر معلوم، وإذا أراد أمرًا يقول له: كن فيكون مرَّة واحدة في أسرع من لمح البصر، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد.

وحِجَاجيَّة التشبيه ترتكز على أنَّه شبَّه سرعة حصول ما أمر الله به بلمح البصر، وفيه تقرير لعقيدة القضاء والقدر، ودليل قاطع على قدرة الله الفائقة لكل قدرات المخلوقين، وإنكار ورد على المدَّعين بأنَّ الخالق ليس وحده القادر على التصرُّف في الكون وشؤونه، ويعد «المشركون قدريَّة؛ لإثباتهم القدرة على الحوادث لغير الله من الكواكب، وطائفة القدريَّة من المسلمين يوصفون بهذا الوصف لقولهم: لا قدرة لله على تحريك العبد بحركة... وإنَّما العبد يخلق أفعال

نفسه»[١]. وهذه الدعوى الزائفة باطلة ومنكرة؛ لأنَّه لا يمكن أحد أن يكون قادرًا على تدبير الأمور وتصريفها إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

ويستقي التشبيه مفعوله الحِجَاجي من الوسائل الإدراكيَّة لدى الإنسان، وتتمثَّل في حاسَّة البصر، إذ أسهمت في تجلية عظمة الخالق وإتقانه في خلق كل شيء، وتقديم برهان حسي مقنع يدحض حجج المشركين الواهية، التي قامت على معتقد باطل وأساس فاسد، وهو الإيمان بوجود شريك لله، وهذا أمر غير مقبول البتَّة، ويتنافى مع الأدلَّة القطعيَّة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبويَّة، التي تؤكِّد ضرورة الإيمان بوحدانية الله وقضائه وقدره.

إنَّ استحضار سرعة تحقُّق ما أمر الخالق به ولمح البصر في آن واحد يتضمَّن طاقة حِجَاجيَّة، ويؤدِّي إلى تقريب المشهد من العقول والأفهام؛ للتأثير فيها وإقناعها بأهميَّة استشعار قوَّة القدرة الإلهيَّة ونفوذها الواسع، وترسيخ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، والتحذير من الخوض في غمار الكفر والشرك، والتهديد لكل الخائضين بالنكال والإهلاك في طرفة عين، و«هذا التشبيه في تقريب الزمان أبلغ ما جاء في الكلام العربي»[٢]، وهو معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله.

وفي سياق الإخبار عن حال المشركين أتى التشبيه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القلم:١٧]، ويكشف عن الابتلاء الذي حلَّ بهم؛ إثر امتناعهم عن شكر الله وحمده كفرًا واستكبارًا، بعد أن أسبغ عليهم النعم العظيمة والآلاء الجسيمة التي لا تعد ولا تحصى.

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٤/٢٠٢.
(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٢٧/٢٢١.

والحجَّة تنهض على أنَّه شبَّه حال الذين ابتلاهم الله بالنعم والعطاءات ليشكروا أو ليكفروا، بحال أصحاب الجنَّة[١] الذين ابتلاهم بالفضائل الكثيرة والخيرات الوفيرة؛ ليشكروه حق شكره على ما أفاء عليهم، ولكنَّهم كفروا بها وبطروا وأقسموا ليصرمنَّها[٢] مصبحين، وبين هذَيْن الحالَيْن تكون المماثلة في الابتلاء، والإعراض عن شكر النعمة. وينتج عن هذا التمثيل تأكيد مسألة الامتنان والشكر لله على واسع فضله وجزيل كرمه، والتهديد والوعيد لكل المعرضين «بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنَّة من البؤس بعد النعيم والقحط بعد الخصب، وإن اختلف السبب في نوعه فقد اتحدَّ جنسه»[٣]، جزاء لهم على جحود النعمة ونكران الإحسان؛ لأنَّ الاغترار بالقوَّة وسعة العيش لن تغني عن الله شيئًا، فله التدبير والأمر كله، وإليه المرجع والمآب.

---

(١) أحداث القصَّة، «كما يذكرها المفسِّرون، أنَّ رجلًا صالحًا من أهل صنعاء، كان له بستان كبير، فيه من أنواع الفواكه والثمار والنخيل، وكان إذا حان وقت الحصاد، دعا الفقراء فأعطاهم حقهم ونصيبهم وافرًا، وكان ينفق الثلث على أهله وعياله، ويتصدَّق بالثلث، ويترك الباقي لمصروف البستان وأجرة العمَّال، فلمَّا توفي الأب وورثَه أبناؤه، قال بعضهم لبعض: إنَّ أبانا كان مسرفًا أحمق، يبذِّر المال، وينفق على المساكين، ويحرمنا من كثير من حقوقنا، فتشاوروا فيما بينهم، وعزموا على أن يقطفوا ثمار البستان في الليل، قبل طلوع الشمس، لئلا يحضر أحد من المحتاجين والمساكين، فيطلبوا ما كانوا ينالونه في زمن أبيهم، وحلفوا على جني ثمارها في ظلمة الليل، فأرسل الله على البستان ليلًا نارًا محرقة، وصواعق مدمِّرة، أتلفت الشجر، وأحرقت الثمر، فلمَّا رأوا البستان محترقًا، ليس فيه ثمر، قالوا: لقد أخطأنا الطريق، فما هذا بستاننا، ثم تبيَّن لهم أنَّهم ما كانوا مخطئين الطريق، وعرفوا أنَّ الله تعالى عاقبهم بنيَّتهم السيئة، فأحرق لهم ثمر البستان، فندموا وتابوا ولكن بعد فوات الأوان». الإبداع البياني في القرآن العظيم، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٢) الصرم: «القطع البائن». لسان العرب، مادَّة: (صرم)، ٢٣١/٨.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ٧٩/٢٩.

وتتأسَّس العلاقة بين حال المشركين وحال أصحاب الجنَّة عن طريق الاعتماد على الفضاء الاجتماعي والمخزون الذهني، إذ وظَّف (قصَّة أصحاب الجنَّة) في الحديث عن أثر شكر النعم وأثر الكفر بها، وأراد من خلال هذه القصَّة أن يقدِّم نموذجًا حيًّا معلومًا لدى المشركين بمثابة الدليل، والغرض منه التذكير والعظة والاعتبار بما جرى لأولئك المعرضين عن تأدية حق الله، والاعتراف بفضله عليهم.

والخطاب في الآية الكريمة مشحون بحمولة إقناعيَّة، تقود إلى تجلية أسباب دوام النعم، وكيفيَّة المحافظة عليها من الزوال، والرد بالبيِّنة القاطعة على الدعوى المزعومة المتمثِّلة في (أنَّ النعمة تأتي بالعمل والجهد وتستمر، وليس بفضل الله وحمده)، وممَّا يزيد الخطاب تأثيرًا وإقناعًا إزالة الفكرة السابقة المرفوضة، وتبديلها بالفكرة الجديدة المقبولة المنبثقة من (أنَّ حصول النعم بفضل الله وحده، ودوامها بدوام الشكر والحمد).

وفي بيان حال المعرضين عن التذكرة ظهر التشبيه في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر:٤٩-٥١]، ويبيِّن مصيرهم المؤسف الذي ينتهون إليه، بعد أن امتنعوا عن قبول دعوة الله إلى الدين القويم كفرًا وعنادًا، وانغمسوا في أوحال الضلالة والعصيان.

ومحاجَّة التشبيه ترتكز على أنَّه شبَّه حالة نفور الكفَّار عن التذكرة العظيمة والموعظة الحسنة بحالة الحُمُر[(١)] المستنفرة الفارَّة من القسورة[(٢)]، وفيها يثبت أنَّ صدودهم وفرارهم عن دعوة الإسلام «مذمَّة ظاهرة، وتهجين لحالهم، وشهادة عليهم بالبَلَه وقلَّة العقل»[(٣)] والجهل، وتشنيع لهم، وسخريَّة منهم؛ لأنَّ بصيرتهم عمياء عن

(١) الحُمُر: «الحمير الوحشيَّة». التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٥٩/١٥.

(٢) القسورة: «جماعة الرماة الذين يتصيدونها، وقيل: الأسد». تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ١١٥٩/٢٩.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط١١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ١٤٢/٨.

نور الحق، وثاقبة في ظلام الباطل، فهم رضوا أن يعيشوا في المذلَّة والهوان، ولم يلتحقوا في ركب الصالحين المفلحين، ولم ينتفعوا بخيريَّة الدين الحنيف الهادي إلى سواء السبيل، وهذا يسفر عن تجلية موقف المشركين من الكتاب العزيز، وشدَّة نفورهم وإعراضهم عنه، وفرط استكبارهم عمَّا فيه من مواعظ وحكم، دون وجود حجَّة مقنعة لديهم تبرر أفعالهم المشينة والقبيحة، التي تتمثَّل في سرعة إبعاد أنفسهم عن الهداية الربانيَّة على غير بصيرة ودراية وهدى.

ومفعول التشبيه الحِجَاجي يأتي من نقل المعقول صورة نفور الكفرة من الدعوة إلى المحسوس صورة استنفار الحُمُر الشديد، وهذا المشهد الواقعي «يعرفه العرب، وهو مشهد عنيف الحركة، مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون! حين يخافون! فكيف إذا كانوا إنَّما ينفرون هذا النفار الذي يتحوَّلون به من آدميين إلى حُمُر، لا لأنَّهم خائفون مهدَّدون بل لأنَّ مذكِّرًا يذكرهم بربِّهم وبمصيرهم، ويمهد لهم الفرصة؛ ليتقوا ذلك الموقف الزري المهين، وذلك المصير العصيب الأليم؟!»[1] في يوم الحشر والحساب، حيث لا ينفع الكفَّار كفرهم وامتناعهم إلا مَن آمن بالله، وأقبل عليه، وامتثل لأوامره ونواهيه، وتمسَّك بالعروة الوثقى.

إنَّ استدعاء هيئة الحُمُر ونفورها من البيئة الحسيَّة المعهودة لدى المتلقِّين، وإشغالها في تبيان هيئة الفارِّين من دعوة الحق، تسهم في تقرير عنادهم ومكابرتهم وإنكارهم لتلك المواعظ البليغة والدلائل الواضحة، التي فيها صلاح حياتهم واستقامتها، وخلوصهم من الغي وضنك العيش وسوء المنقلب يوم القيامة. وتكشف أيضًا عن نتيجة إعراضهم وصدودهم المتمثِّلة في حرمانهم الشديد من الانتفاع بهذه الخيرات الكثيرة والأجور الوفيرة، وجعلهم أكثر شرودًا وتشتُّتًا وحيرة في كل شؤونهم وأمورهم، غير مستقرِّين بأي حال من الأحوال، ممَّا يقتضي الإنكار عليهم، والتعجُّب من أحوالهم المختلفة ومواقفهم المتطرِّفة، الدالَّة على اضطراب عقولهم وانعدام أفهامهم وموت ضمائرهم.

(١) في ظلال القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ٣٧٦٢/٦.

وثمَّة علاقة وثيقة بين نفور الكافرين ونفور الحُمُر، تتجلَّى من خلال تجسيدها ماثلة أمام أعين الناس، والغرض منها تقريب مشهد الهرب والنفرة من الأذهان؛ لكي يؤثِّر فيها ويقنعها بأنَّ الإسلام جاء لهداية البشريَّة قاطبة، وتحقيق المقاصد العالية النافعة، والابتعاد عنه يقود إلى الحرمان والشقاء؛ لأنَّه يتضمَّن مصادر السعادة الحقيقيَّة في الدنيا والآخرة. ولم يكن نفور الكافرين عن الإسلام مبرَّرًا كنفور الحُمُر من القسورة، على الرغم من اشتراكهما بصفات حركيَّة متعدِّدة، فالكافرون يفرِّون إلى هلاكهم، أمَّا الحُمُر فتهرب من هلاكها، ولذا، فإنَّ الحُمُر على جهلها وبلادتها التي يضرب بها المثل(١)، قد أصبحت أكثر وعيًا وإدراكًا من الكافرين. وهذه عظة واعتبار منهم، ودعوة إلى الإيمان بالله، والإقبال عليه، والتحذير من الإعراض والنفور عنه.

وفي وصف حال المكذِّبين يوم الحساب ورد التشبيه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾[المرسلات:٣٢-٣٣]، ويكشف عن العاقبة الوخيمة التي ينتهون إليها، بعد تكذيبهم وابتعادهم عن الحق المبين والنور الساطع، واستمرارهم في ضلالات الباطل عنادًا وتكبُّرًا.

وحِجَاجيَّة التشبيه تكمن في أنَّه شبَّه الشرر الذي ترمي به جهنم بالقصر(٢)، وشبَّهه أيضًا بالجمالة(٣) الصفر، وأتى «تأكيدًا للتخويف من النار التي ترامى به، وتعظيمًا لشأنها، وإرهابًا للكافرين من سطوتها»(٤)، وردعهم عن تكذيب دعوة الله

(١) ينظر: كتاب جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسَّقه: أحمد عبدالسلام، وخرَّج أحاديثه: محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ١/٢٧٠.

(٢) القصر: «من البناء في عظمه وارتفاعه». إعراب القرآن الكريم وبيانه، ١٠/٣٣٧.

(٣) الجمالات: جمع جمالة، وهي «طائفة من الجمال... وهي حبل تشدُّ به السفينة، ويُسمَّى القَلْس». تفسير التحرير والتنوير، ٢٩/٤٣٧-٤٣٨.

(٤) الجمان في تشبيهات القرآن، ابن ناقيا البغدادي، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، دار الجمهوريَّة، بغداد، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م، ص٣٧٤.

والفرار عنها، وتفنيد دعواهم الزائفة المبنية على حجج غير منطقيَّة البتَّة، لا تقبلها العقول البشريَّة بأي وسيلة كانت؛ لأنَّ الله جعل الحق واضحًا وضوح الشمس في رائعة النهار، فلا حجَّة تستطيع أن تقرع حجَّته، ولا برهان يستطيع أن يجاري برهانه، ولا يمكن أن يشارك المخلوقُ الخالقَ في ملكوته وسلطانه. وهذا يثبت بطلان ما يزعمه هؤلاء المكذِّبون الضالون، وتقبيح ما يقومون به من اعتداء صريح على الدين الإسلامي الحنيف.

ويستمدُّ التشبيه فاعليَّته من استحضار مظهر حسي مشاهَد من مظاهر البيئة العربيَّة المعروفة، وهو تطاير الشرر من النار، وتوظيفه في سياق بيان عذاب المكذِّبين بوعيد الله يوم الحشر والجزاء، وممَّا يزيد من هول المنظر الأخروي أن تكون كل شررة كبيرة الحجم، وعالية الارتفاع، وسريعة الحركة، ومتتابعة الانتشار. وهذه الصورة المرعبة تبعث في النفوس الخوف والفزع، وتساعد على تغيير الأفكار الضالة والمواقف المضادَّة من الكفر والعصيان والتكذيب إلى الإيمان والطاعة والتصديق.

وينطوي عقد المشابهة بين الشرر في الدنيا والشرر في الآخرة على حمولة إقناعيَّة، تفضي إلى الوقوف على نتيجة الطغيان والفسوق وتكذيب الدعوة الإلهيَّة، وتدفع إلى إعمال كفاية المخاطَبين الثقافيَّة والمنطقيَّة؛ للتأثير فيهم وإقناعهم بأنَّ الله حقيق بالألوهيَّة والعبوديِّة، أقام شريعته على الدليل الأبلج والمحجَّة البيضاء، بما لا يدع مجالًا للشك والتوهُّم والظن، ومَن يزغ عنه جحودًا ونكرانًا بعد وضوح الدلائل المقنعة فقد ظلم نفسه، وكانت عاقبته الخزي والهلاك في دنياه وآخرته.

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات:٤٦] برز التشبيه واصفًا حال المكذِّبين بقيام الساعة يوم القيامة، وما ينتابهم من اندهاش شديد بسرعة انقضاء الزمان الطويل الذي لبثوا فيه، كأنَّه عشيَّة أو ضحاها أمام هول هذه الساعة وعظم أمرها.

والمحاجَّة تقوم على أنَّه شبَّه هيئة المنكرين للساعة عند قيامها بهيئة الذين لم يلبثوا إلا مدَّة قصيرة بمقدار العشيَّة أو الضحى، وفيها «إمَّا تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الإنذار من سرعة مجيء المنذر به... وإمَّا رد لما أدمجوه في سؤالهم، فإنَّهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها، وإن كان على نهج الاستهزاء بها»[1] والسخريَّة منها. وفي كلا الأمرَيْن إثبات لمسألة البعث والجزاء في الآخرة، وبيان لقدرة الله وعظمته في الخلق والإحياء والإعادة، وإنكار لما يظهره المكذِّبون من كفر وعناد واستكبار، ودحض لدعواهم الكاذبة القائمة على الاستخفاف والزور والبهتان، وإبطال لحججهم الواهية بالحجَّة الواضحة والبيِّنة القاطعة.

ويكتسب التشبيه مفعوله الحِجَاجي من الاعتماد على واقع الحياة المعيشة، فالعشيَّة والضحى[2] مظهران من المظاهر الموجودة في خصائص كل يوم، ويمثِّلان المدَّة الزمنيَّة التي تكون فيها الأرض ميدانًا للعمل والسعي كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ:١١]، واختيار النهار دون الليل؛ لأنَّه يمضي سريعًا غير مشعور به، بخلاف الليل الذي يكون للتفكُّر والتأمُّل. وتؤدِّي المقارنة بين النهار المعلوم وتلك الساعة الأخرويَّة إلى زيادة التقليل والتحقير، والغرض منها تقريب المشهد من أفهام الناس وعقولهم؛ لكي يؤثِّر فيهم ويقنعهم بأنَّ تكذيب قيام الساعة كفر وفساد في المعتقد، والواجب التصديق بها والامتثال لأوامر الله ونواهيه، والابتعاد عن كل ما ينافي منهج الإسلام.

إنَّ معرفة نتيجة الاعتقاد الباطل الذي يدور حول (إنكار حدوث البعث بعد الموت) كفيلة بتحقيق الاقتناع والانتفاع بها، وإزالة هذه الفكرة الخاطئة المرفوضة من الأذهان، وتبديلها بالفكرة الجديدة المقبولة التي تتمحور حول (الإيمان بحدوث البعث بعد الموت)، وهذا تحوُّل محمود من الهلاك والفناء إلى النجاة والبقاء.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ضبطه وصحَّحه: علي عبدالباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ٢٣٨/١٥.

(٢) العشيَّة: «ما بين الظهر إلى غروب الشمس. والضحى: ما بين طلوع الشمس إلى الظهر». الإبداع البياني في القرآن العظيم، ص٣٩٢.

الخاتمة

تناول هذا البحث حِجَاجِيَّة التشبيه في السور المكيَّة، وبعد تركيز النظر فيه فقد أسفر عن مجموعة من النتائج، أهمها:

١. لم يخرج التشبيه في السور المكيَّة عن الأشياء المقرَّرة والثابتة في نفوس المخاطَبين وأذهانهم، إذ يتوسَّل بها؛ للتأثير فيهم وإقناعهم بما يعرضه عليهم من قضايا وأفكار، ويأتي بالمتفق عليه؛ لكي يقنعهم بشيء غير متفق عليه.

٢. يعدُّ الخطاب القرآني المكِّي خطابًا حِجَاجيًّا إقناعيًّا بامتياز، ومن أهم آلياته البيانيَّة التشبيه؛ لأنَّه يعالج قضايا كبرى مفصليَّة، مثل: وحدانيَّة الله، والبعث بعد الموت.

٣. لم يكن التشبيه في الآيات المكيَّة زيادة وفضلة، بل إنَّه جزء رئيس منها لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنَّه بمثابة البرهان الساطع والدليل القاطع على الأطروحات المعروضة والحجج المقارعة.

٤. للتشبيه دور بارز في تجسيد المعاني المعقولة في صورة حسيَّة مشاهَدة؛ وذلك لتقريب المشهد من أفهام الناس في معرض الحِجَاج والاستدلال، حتى يكون وقعه عليهم أشد وأقوى.

٥. أسهم التشبيه في تجلية مقاصد القرآن الكريم، ولا سيما السور المكيَّة، حيث تناولها تناولًا بلاغيًّا حِجَاجيًّا، بما يوضِّح الفكرة، ويقوِّي الحجَّة، ويزيل الشبهة، حسب ما يقتضيه السياق.

وأخيرًا أسأل الله أن يغفر لي تقصيري، ويقل عثرتي، ويعفو عني، ويجعل هذا العمل خالصًا ابتغاء وجهه الكريم، وينفع به في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإبداع البياني في القرآن العظيم، محمد علي الصابوني، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

٢. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط١١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣. أيسر التفاسير لكلام العليِّ الكبير، أبو بكر الجزائري، دار راسم للدعاية والإعلان، جدَّة، ط٣، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٥. البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٦. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠١٢م.

٧. بلاغة الفرائد القرآنيَّة، سارة بنت نجر العتيبي، دار مستقبل الكتاب للنشر والتوزيع، جدَّة، ط١، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م.

٨. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٩. التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن: دراسة بلاغيَّة تحليليَّة، عبدالعزيز صالح العمَّار، جائزة دبي الدوليَّة للقرآن الكريم، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٠. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسيَّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١١. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جارالله الزمخشري، اعتنى به وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١٠، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
١٣. تهذيب اللُّغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد عبدالرحمن مخيمر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٤. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّمَّاني والخطَّابي وعبدالقاهر الجرجاني في الدراسات القرآنيَّة والنقد الأدبي، حقَّقها وعلَّق عليها: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
١٥. الجامع الكبير، أبو عيسى محمد الترمذي، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٦. الجمان في تشبيهات القرآن، ابن ناقيا البغدادي، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، دار الجمهوريَّة، بغداد، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.
١٧. الحِجَاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
١٨. الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، عبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
١٩. الخطابة، أرسطوطاليس، حقَّقه وعلَّق عليه: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ضبطه وصحَّحه: علي عبدالباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٢١. صحيح البخاري، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
٢٢. الصورة الأدبيَّة في القرآن الكريم، صلاح الدين عبدالتواب، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر- لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٥م.
٢٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق:

عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٢٤. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٧م.
٢٥. في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢م.
٢٦. في ظلال القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٢٧. في نظرية الحِجَاج: دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.
٢٨. القرآن والعلم، أحمد محمود سليمان، الدار القوميَّة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
٢٩. كتاب جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسَّقه: أحمد عبدالسلام، وخرَّج أحاديثه: محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٣٠. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.
٣١. كتاب المنهاج في ترتيب الحِجَاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م.
٣٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م.
٣٣. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.
٣٤. اللُّغة والحِجَاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.
٣٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدَّمه وعلَّق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط٢، ١٩٧٣م.

٣٦. معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النَّحَّاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكَّة المكرَّمة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
٣٧. معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٣٨. مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٣٩. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، ٢٠٠٥م.
٤٠. من الحِجَاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م.
٤١. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطَّهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٤٢. النظريَّة الحِجَاجيَّة من خلال الدراسات البلاغيَّة والمنطقيَّة واللسانيَّة، محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٩٥
٢-	Abstract	٣٩٦
٣-	المقدمة	٣٩٧
٤-	المبحث الأول: التعريف بالتشبيه والحجاج	٣٩٩
٥-	المبحث الثاني: حجاجية التشبيه في السور المكية	٤١٢
٦-	الخاتمة	٤٣٦
٧-	فهرس المصادر والمراجع	٤٣٧
٨-	فهرس الموضوعات	٤٤١

تم بحمد الله